لسان حال النهر

جلالة ملكة رومانيا

تعريب عصبح افندي وزيريان

ينفجر نهر من احضان جبال كرباث ويجري في سفح قلعتي الصيفية المحبوبة جائشاً مزبداً بصولة وشدة كانه عازم على جرف كل ما في الارض امامه . اني ارى هذا النهر ذا هيئة وشكل . اراه مخلوقاً ذا حياة . عجيب هو نهر بيلش بغدائره المجدولة المتجعدة وعيونه الزرقاء . هو ثمل دائماً بخمرة السرور والقوة ! يقال انه يجري من بحيرة مخفية في قلب جبل عظيم حيث تسكن الاهلات المياه . فعندما اطيل البقاء بقرب « بيلش » بمقدار نسياني العالم وما فيه اقدر ان اسمع بوضوح تام اغاني حوريات الماء ! واحياناً ارى جثة عائمة على ورقة كبيرة عريضة تتبع النهر ببطء في جريه وتنزحلق من صخرة الى صخرة مع تموجات الشلالات وتنظر الى العالم الذي يحيط بها بعينين ساحرتين . ولكن النهر فقط يمكنه ان يرى هذه الارواح تمرح فوق صدره عندطلوع زهر العشية لان نفسه طاهرة لم يدنسها فكر ردي . وهؤلاء الجثيات المائية يصقلن باناملهن النحيفة الجميلة شعر « بيلش » المتجعد ويخبرنه سراً عن مخادعهن المختفية في مخابىء الجبل المظلمة اما هو فيمسك لهن مرايا صغيرة ليتمكن من التأمل في جمال طلعاتهن الوردية البهية . ومناجاتهن له هي سرية كهمس النسيم في اوراق شجر الغاب .

ان « بيلش » هذا لا يتعب ابداً لانها عظيمة قوته وعجيبة سرعة سيره ! وهو مفطور على بسط كفه بالاحسان ودائماً يجود بامواجه المزبدة . ولا يقف بتة ليحسب ما بذله وما بقي عنده لانه يعرف جيداً ان هنالك في اعماق الغيران يوجد بحيرة عظيمة لا ينضب ماؤها ما دام البحر قاصراً عن الوصول الى جبال كرباث العالية . « بيلش » لا يعرف الحساب وهو لا يقول ابداً « لا اني ديوني لئلا افتقر » . حاشاه . فهو يرسل امواجه بسخاء زائد الى العالم الذي يحيط بمخادعه وطريقه . حتى النباتات والبهائم والناس ينتعشوا بنسريان روحه فيهم ويبردوا ظماءهم بزلاله العذب . على انه يحتدم احياناً غيظاً وغضباً عندما يبطىء الربيع في قدومه او يسرع الخريف في ذهابه حينئذ يهدر ويفيض هائجاً حتى انه يمزق كلما يعترض طريقه تمزيقاً ويجعله هباء منثوراً . واوقاتاً تزدري به الرياح

او قل انها تؤدبه فتجلده بسياطها الجليدية وترمي اشجاراً عظيمة في مجراه فتسحقه تلك الاشجار بخشونة لدى احتضانه اياها وتضيق عليه طريقه . ولا قبل له الاّ بان يغضب و يسخط لما يوسع الشتاء الحطي في مشيه

ولما ترمي الاشجار اوراقها الذابلة فوق صدره يصبح في حالة لا يطاق احتمالها اذ انه لا يتحتم عليه ان يحمل واجباً هذه الاوراق التي كان يداعبها و يلاعبها مدة ايام الصيف الطويلة . وايضاً يتألم و يتضايق من الجليد الذي يضيق عليه الخناق ويحاول ان يضطره الى السكوت لان « يلش » فيه عيب واحد فقط وذلك انه ثرثار يحب اكثار الكلام مع الزهر والطير والشجر والريح حتى مع الطحالب التي تنمو على الحجارة المستقرة في قعره ! وعندما يجد نفسه منفرداً ولا تقع عينه على احد يكلمه ياخذ في محادثة نفسه . فاين هو ذلك الانسان الذي يجب ان يتكلم الى الابد دون سميع ؟ ! كثيراً ما وقفت ساعات عديدة بجانبه مصغية لكلامه . واحياناً خيل لي بانني اشاهد انامل حورية الماء او قدمها المصبوغة بلون الورد او خصلة من شعرها الذهبي المتماوج وكثيراً ما سمعت اشياء عجيبة معلومة اسرارها عند نباتات الخنشار والطحلب وآذان الغار ولا تجهلها اشجار الزان والصنوبر . وحتى الاطيار تحمل هذه القصص العجيبة الى اقصى المعمور فوق الاوقيانسات العظيمة والقارات المتسعة الى الاقاليم التي هجمت زوابعها ونامت رياحها

آه يا حبيبي « يلش » ! ما اعظم محبتي لك . انك لست صديقاً مرائياً ولا مهذاراً يتكلم عن امور رديئة ولا مداجياً يتقلب مع الزمان ولا متملقاً ملمس اللسان مثل رجال البلاط . ان معك فقط يمكنني ان اتكلم بحرية تامة وبكل راحة ضمير واشعر ان ثقتي التي اضعها في صدرك الرحب هي آمنة لانه لا يوجد صغارة في مصادقتك كما انه لا يوجد صغارة في مصادقة جميع الاشياء الطبيعية العظيمة . ان انظار المرء الذي يتحدث معك ترتفع الى اسمى الامور . انه ليوجد دروس مهمة في الاحراش الغضة والجبال الشامخة والانهر المتدفقة يجب ان يتعلمها اولاد هذه الارض . وعندي يا حبيبي « يلش » ان صوت خريرك هو صوت الطبيعة وصوت الطبيعة هو صوت الله !

حبذا لو كان الربيع لا ياتي الا مرة في الحياة والشمس لا تشرق وتغيب الا يوماً في العام وقوس قزح لا يبدو الا هنيهة كل مئة سنة او لو ندر الزهر والندى ندرة الياقوت والالماس — لرأينا الطبيعة بغير هذا الجمال اللورد افبري